سياسة الملك حسين الفلسطينية عبر بياناته

عصام الصالح

في اليوم الثاني من شهر أيار الماضي مرت الذكرى السنوية العشرون لتسلم حسين بن طلال سلطاته الدستورية ملكا على المملكة الاردنية الهاشمية . وخلال هذه السنوات العشرين التي خضع فيها جزء كبير من الشعب الفلسطيني لحكم مفروض عليه فرضا لم يختره بمشيئته الحرة ، لم يترك حاكم عربي او نظام بصماته على تاريخ هذا الشعب بمثل ما صنع حسين الذي حفر في وجدان الفلسطينيين أخاديد غائرة ستظل والى مدى غير منظور من ابرز العوامل وأشدها تأثيرا في تشكيل سلوكية الانسان الفلسطيني وفي تكوين عقله وصنع وعيه الجمعي على حد سواء . فمن بين جميع اشكال السلوك المضاد التي تعرض لها الفلسطينيون سواء أفي مهاجرهم أم في ظـل الاحتلال كان النمط الهاشمي متفردا بينها جميعا : فبالاضافة الى تآمره على القضية الفلسطينية من حيث هي قضية اتخذ حسين محورا متميزا اختص به ، بعد أن ورثه عن جده الملك عبدالله ، يتجه نحو انهاء الوجود الفلسطيني من حيث هو وجود ، وكان ابرز ملامح هذا المحور طمس معالم الشخصية الفلسطينية وانساءها ذاتها ومحو آثارها لدى الفلسطينيين الذين وقعوا تحت حكمه ، ثم يتطور هذا المحور في شكل تصاعدي ليصل الى درجة ابادة الجنس التي بلغت حدها الاقصى في خريف ١٩٧٠ وصيف ١٩٧١ ، ثم ليدفع الفلسطينيين مـن حيث هم مواطنون في دولة مزدوجة الاصول السكانيـة الى الصف الادنى في المواطنة فيصبحوا مواطنين من الدرجة الثانية وهم اغلبية السكان . هذا النمط من السلوك المضاد ان كان يتحمل مسؤوليته مجمل النظـام في الاردن بكل تركيباته الاجتماعيـة والاقتصاديـة والسياسية ، فان حسين باعتباره محصلة لجميع تلك التركيبات من جهة ولكونه يفعل فيها ويؤثر بحكم كونه حاكما مطلقا من جهة ثانية يتحمـل النصيب الاوفى مـن هذه المسؤولية ، فهو من جانب « بنية فوقية » تلتقي فيها ومن حولها جميع اشكال السلوك المضاد وهو من جانب آخر « اساس تحتي » يفرز انماطا من السلوك المضاد يستقطب حولها قوى معادية ويمنحها الحماية والدعم والتغذيـة . وهذا البحث سيلقي بعض الاضواء على شخصية الملك الظاهرة وسياسته الفلسطينية ، ليس من خلال ما كتب عن حسين وانما **من خلال ما قاله حسين نفسه في تصريحاته وخطبه التي تشكـل المصادر الاساسية والوحيدة تقريبا لهذا البحث** ، في محاولة للتعرف عـن كثب على هذا الذي انتصب في نظر شعبنا رمزا لجميع المثل الهابطة .

عن التصريحات

يكاد الباحث لا يجد مسؤولا عربيا او غير عربي يتحدث ويخطب ويدلي بتصريحات ويوجه رسائل اكثر من حسين . فخلال العام ١٩٦٩ استطاع الباحث ان يحصي اكثر من خمسة وخمسين حديثا للملك حسين بين مقابلة اذاعية او تلفزيونية او حديث صحافي او خطاب أمام مجموعات مختلفة ، وفي شهر واحد من العام نفسه هو شهر نيسان تمكن الباحث من احصاء عشرة احاديث أذاعية وصحافية . وبالتأكيد فهناك غيرها لم يكن بالامكان